زاد الداعية

معيار لا يخطئ.. الاهتمام بما اهتم به القرآن



الاثنين 31 مايو 2021 02:34 ص

د. يوسف القرضاوي

من المعـايير التي ينبغي الرجوع إليهـا في بيـان مـا هو أحق وأولى بالرعايـة والتقـديم على غيره: أن نعنى بالأمر على قدر ما عني به القرآن الكريم.

فما اهتم به القرآن كل الاهتمام، وكرره في سوره وآياته، وأكـده في أمره ونهيه، ووعـده ووعيده، يجب أن تكون له الأولوية والتقديم والعناية في تفكيرنا وفي سلوكنا، وفي تقويمنا وتقديرنا.

وذلك مثل الإيمان بالله تعالى، وبرسالاته إلى أنبيائه، وبالدار الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، وجنة ونار.

ومثل أصول العبادات والشـعائر من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصيام والحج، وذكر الله تعالى وتسبيحه وتحميده واسـتغفاره والتوبة إليه، والتوكل عليه والرجاء في رحمته والخشية من عذابه، والشكر لنعمائه والصبر على بلائه، إلى آخر تلك العبادات القلبية الباطنة والمقامات الربانية العالية.

ومثـل أصـول الفضائـل ومكـارم الأخلاـق ومحـاسن الصـفات مـن الصـدق والأمانـة، والقصـد والعفـاف، والحيـاء والتواضع، والبذل والسـخاء، والذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين، والرحمة بالضـعفاء، وبر الوالدين وصـلة الأرحام، وإكرام الجار، ورعاية المسكين واليتيم وابن السبيل.

ومـا اهتم به القرآن اهتمامـا قليلاـ؛ نعطيه مثل ذلك القـدر من الاهتمام ولا نبالغ فيه، مثل "الإسـراء" بالنبي عليه الصلاة والسلام، الذي أعطاه القرآن آية واحدة، وليس كالغزوات التي أخذت سورا كاملة.

أمـا "مولـد النبي" فلم يعره القرآن التفاتـا؛ فـدل على أنه أمر غير ذي بـال في الحياة الإسـلامية، إذ لم يرتبط به معجزة كما ارتبط بميلاد المسـيح، كما لم يرتبط به عمل أو عبادة تطلب من المسلمين على وجه الإيجاب، ولا على وجه الاستحباب.

فهـذا معيار لا يخطئ؛ لأن القرآن هو عمـدة الملـة وأصل الـدين وينبوع الإسـلام، والسـنة إنما تأتي شارحة مبينة. والله تعـالى يقول: "إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْـدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"(الإسـراء:9)، ويقول: (قَـدْ جَـاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَـابٌ مُّبِينٌ، يَهْـدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَـامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ بِـإِذْنِهِ وَيَهْـدِيهِمْ إِلَى صِـرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (المائدة:15-16).

وقال تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ"(النحل:89) .

والمقصود: أنه بين الأـصول التي لابـد منها ليقوم الـدين على أساس مكين، فما من أصل من الأصول الكليـة التي تحتاج إليها الحياة الإسلامية، إلا وهو منبثق من القرآن، إما مباشرة أو بالاستنباط.

وقد جاء عن الخليفة الأول قوله: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله.

.....

*من كتاب "في فقه الأولويات.. دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة" لفضيلة العلامة.